المجلة العلمية للتكنولوجيا وعلوم الاعاقة
ISSN: 2682-2873
The Online ISSN : 2682-4256
المجلد03/العـدد: 04 (ديسمبر2021)، ص ص 73 - 91

# براديغم البيئة الرقمية: التموقع الابستمولوجي للنظريات الكلاسيكية في الإعلام البديل

# Pradigm Digital Environment: The Epistemological Positioning of Classical Theories in Alternative Media

رشيد بن راشد [1]، حسنية بلحاج [2]
[1] جامعة محمد بن احمد وهران٢، kmourad374@gmail.com
[2] جامعة محمد بن احمد وهران٢، hasnia23@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/09/28 تاريخ القبول: 2021/10/27 تاريخ النشر: 2021/12/26

**مستخلص البحث**

تغيرت مكونات الاتصال بالكامل عن تلك التي عرفها العالم قبل قرن من الزمان، ولطالما كان العامل التكنولوجيا من بين أهم نقاط التحول في هذه العملية الاتصالية البديلة، التي خلفت توجهات وتيارات نظرية حاولت تفسير الظاهرة، ولكن قبل ذلك نسلط الضوء على فاعلية النظريات الكلاسيكية التأسيسية الأولى، وكذا النظريات التي صاحبت توسع الإشكاليات الإعلامية، لان ذلك يعد مساعدا في فهم السياق التاريخي لتطور التنظير في مجال الاتصال والإعلام الجديد.

اعتمدنا المنهج الافتراضي لدراسة هذا الموضوع وتوصلنا إلى: تتباين المقاربات النظرية الخاصة بالإعلام البديل، وتتمحور أساسا حول السلوكيات الاتصالية الجديدة التي أفرزتها البيئة الافتراضية، ذلك أن التنظير الإعلامي للبيئة الرقمية يعد أمرا صعبا وغير متفق عليه من قبل جموع المفكرين في الحقل الاتصالي والاجتماعي، وذلك لعدد من الاعتبارات أهمها: خصوصية البيئة الرقمية وتطورها السريع، تداخل التخصصات مما يجعلنا نتحدث عن تنوع التخصصات وليس عن تعددها، تسارع تكنولوجيا الحوامل وتعددها، تبذل سلوكيات المستخدمين وفقا للتطبيقات والمنصات المتجددة.

**الكلمات المفتاحية:** براديغم، بيئة رقمية، ابستملوجيا، إعلام بديل، نظريات إعلامية.

**Abstract:**

The components of communication have completely changed from those known to the world a century ago, and technology has always been one of the most important turning points in this alternative communication process, which has left theoretical trends and currents that have tried to explain the phenomenon

We adopted the default approach to study this subject and came to: the theoretical approaches to alternative media vary, mainly centered on new communication behaviors produced by the virtual environment, because the media theory of the digital environment is difficult and not agreed by the masses of thinkers in the field of communication and social, for a number of considerations, the most important of which are: the privacy of the digital environment and its rapid development, interdisciplinary overlap, which makes us talk about the diversity of disciplines and not about their multiplicity, accelerate the technology of pregnant women and their multiplicity, make user behaviors according to For renewable applications and platforms.

**Keywords**: Pradegam, digital environment, absolutism, alternative media, media theories.

**١. مقدمة :**

لقد أخذت الثورة الرقمية طفرة في التعاطي مع الانترنت وانتقلت المنظومة الإنسانية في مساراتها من التعامل مع التقنيات الرقمية كمكمل فرعي لبقية الأنساق الجزئية في إطار المجتمعات الحديثة، إننا أمام عملية اتصالية جديدة ومختلفة تماما عن تلك التي عرفها العالم قبل قرن من الزمان تغيرت فيها مكونات الاتصال بالكامل، كما تغيرت الوسائط والمفاهيم وكذا مستويات الخطاب الإعلامي ولطالما كان العامل التكنولوجي من بين أهم نقاط التحول في هذه العملية، ذلك أن الاتصال أخذ بعدا حقيقيا عندما مر بقناة تواصلية مادية هي " الآلة". ارتبطت العملية الجديدة بمفهوم الرقمنة مما جعل الكثير من الأدبيات الإعلامية تطلق عليها تسمية " العملية الاتصالية الرقمية".

انتشرت في العقود الأخيرة، خصوصا مع مطلع القرن العشرين، الكثير من المحاولات المنظرة الرامية إلى تحديد المفاهيم داخل إطارها الإعلامي، وبناء تصورات دقيقة عن قدراته التأثيرية ومدى تحكمه في المجتمع ودوره في صناعة إطار الرأي العام وعلاقة كل ذلك بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية وغيرها من العوامل والمؤثرات الواقعية في مختلف نواحي المجتمع، وعلى الرغم من توارث العديد من النظريات التي كان لها صدى في وقتها غير أنه تم تسجيل نظريات استدامت فاعليتها في خط التطور التاريخي للإعلام والمجتمع وكان لها من دقة التحليل وصواب المنهج ما ضمن لها حضورا قويا في أدبيات الأكاديمية العالمية.

في هذا المقال البحثي نحاول دراسة النظريات التقليدية التي صاحبت توسع الإشكاليات الإعلامية بداية من سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، لأن ذلك يعد ضروريا لفهم السياق التاريخي لتطور التنظير في مجال علوم الإعلام والاتصال، ومحاولة معرفة: **إلى أين وصلت فاعلية النظريات التقليدية في ظل البيئة الرقمية الجديدة؟**، ومن هذا التساؤل تتفرع أسئلة أخري:

- هل مازالت النظريات الكلاسيكية تساهم في تفسير الإعلام في البيئة الرقمية؟
- ما هي أهم النظريات الكلاسيكية التي تواكب الإعلام الرقمي الجدي؟
- هل وصلنا إلى تقديم نظريات إعلامية حقيقية تواكب هذا التطور الرقمي الجديد؟
- كيف نوظف النظريات الكلاسيكية لخدمة النظرية الحديثة في البيئة الرقمية الجديدة؟
- ماهية مقومات الميديا الجديدة في البيئة الالكترونية الحديثة؟

بعد هذه السلسلة من الأسئلة التي تشغلنا في هذه الدراسة، وجب وضعية فرضية مؤقتة كحل ابتدائي ننطلق منه لنخوض في عالم الميديا الجدية وما يميزها بالتطور السريع والذي تزامنت معه استخدام وسائط تكنولوجية فائقة التطور، فرضيتنا هي: **لا تزال بعض النظريات الكلاسيكية في مجال الإعلام والاتصال تساهم بتفسير الظواهر الاتصالية في البيئة الرقمية.**

تكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف على عالم البيئة الرقمية التي عرفت بالإعلام البديل، والبحث عن النظريات التي لا زالت تخدم الفضاء الافتراضي في عصرنا

هذا، وكذلك تسليط الضوء أهم النظريات الكلاسيكية والحديثة والغوص في زواياها التي طالما حاول الباحثون تفسير الظواهر الاتصالية وفق النظريات الإعلامية الحديثة والقديمة، محاولة معرفة أشهر النظريات الكلاسيكية التي لازالت تعرف رواجا رغم هذا الكم الهائل من تداخل الوسائط التكنولوجيا الحديثة ورقمنه وسائل الإعلام البديل.

والهدف من هذه الدراسة هي رغبتنا في المزيد من المعرفة حول نظريات الإعلام الكلاسيكية ومدى فعاليتا في عصر الميديا الحديثة، والمزيد من التراكم المعرفي حول هذا الموضوع وفتح الشهية للقارئ ليواصل البحث والاطلاع على الموضوع الأكثر ولفت انتباه الباحثين والمفكرين للانطلاق في المزيد من الدراسات، لان البيئة الرقمية أصبحت الشغل الشاغل منذ بوادر عصر التكنولوجيا الحديث وما توصلت إليه الميديا الإعلامية في العالم.

اعتمدنا في ورقتنا البحثية هذه على المنهج الافتراضي، لان من خصوصياته بناء مجموعة من الافتراضات التي يتم عرضها لنظريات الإعلام والاتصال الكلاسيكية للاختبار، ثم تحديد النتيجة ببناء يستند على مسلمات وبديهيات علمية، ومن الاستدلال المنطقي الذي يقوم على المصادرات والتعريفات لدى الإعلام البديل في عالم البيئة الرقمية، انطلقنا من الرؤية التاريخية للنظريات والتعرف على أهميتها من خلال المؤشرات التي تدل على وجود فاعلية النظريات الإعلامية الكلاسيكية بالرغم من وجود الاثنوغرافيا الرقمية وخصائص الجماعات الافتراضية.

لرصد موضوع الدراسة وقبل التطرق إلى المنطلق النظري للإعلام البديل، وذلك من خلال الكشف عن مختلف التوجهات والتيارات النظرية التي حاولت تفسر ظاهرة الإعلام البديل، وقبل ذلك عرجنا على آلية الاتصال التقليدي من منطلق الفكر التواصلي، وكشف الغطاء عن البراديغم الجديد في فضاء البيئة الرقمية، وكيف ساهمت النظريات الكلاسيكية في إثراء ساحة التيارات الفكرية المفسرة لمختلف التفاعلات الاجتماعية للإعلام البديل، وفي البداية سوف نتعرض إلى أهم المصطلحات التي تخدم دراستنا:

## ٢. مفاهيم الدراسة

### ➢ البراديغم:

تأسس مفهوم البراديغم على يد "توماس كون" وكتابه بنية الثورات العلمية، يعكس مفهوم البراديغم التباسا وغموضا كبيرا في مجال العلوم إنسانية، فان البراديغم هو أداة فكرية أو عبارة عن دليل بحيث يفيد معنى المثال أو النمط ويوضح "توماس كون" أن البراديغم يقود البحث بواسطة صنع صورة مثالية مباشرة ون خلال القواعد المجردة، هنا يطرح التساؤل حول السياق العام الذي اوجد فيه "توماس كون" مفهوم البراديغم وماذا كان يريد منه قبل أن ينتقل إلينا والى كافة الأدبيات الأخرى كمصطلح جديد يخدم الدراسة الأكاديمية.

يقول "توماس كون" انه انتقل إلى تاريخ العلم بدلا من منه، أصبح فيلسوفا بعدما كان فيزيائيا فيف مجال المعرفة، ويعتبر من ابرز المفكرين الذين تابعوا تطور العلم، وحاولوا التركيز على تاريخ الأفكار، ومنه إلى فكرة البراديغمات من اجل تفنيد مسلمة المدرسة الوضعية الامبريقية وهي أن العلم تراكمي و يحدث فيه ثورات تماما كما الثورات السياسية وتتفكك أفكار البراديغم القديم لصالح الجديد (برنيري، ١٩٩٧، صفحة ٩٦)، نستنتج أن البراديغم عند "توماس كون" مجموعة القوانين والتقنيات والأدوات المرتبطة بنظرية علمية المستدل بها، التي يعتمد عليها الباحثون في دراساتهم ويديرون نشاطاتهم، وعند تأسيسها تأخذ طابع العلم العادي، لكن يوجد أساسيات لوضع البراديغم:

- ضرورة وجود منافس علمي قبل البراديغم لان هذه التحديات هي تؤسس له.
- الانتقال إلى النضج في مجال لا يعبر عن وجود البراديغم بل في طبيعة تغيره.
- البراديغم هو انجازات سابقة متشكلة في أمثلة، أي أنها تجسدت وهي مستمرة ومتطورة.
- البراديغمات يمكن اكتشافها فيما بعد عن طريق فحص سلوك أعضاء منافس علمي مفترض.
- يعتمد البراديغم على النظرية، لكن ليست كل النظريات صالحة لتكون داخل البرديغمات.

لصياغة البراديغم على مجموعة القوانين والتقنيات والأدوات المرتبطة بنظرية علمية مستدل عليها، كما تقدم "توماس كون" بهذا الطرح، وهناك مجموعة قواعد عديدة إضافية وهذه الأخيرة توفر الالتزامات التي يستمدها العلماء من براديغماتهم.

- **البيئة الرقمية:**

البيئة الرقمية هي فضاء يكون اتصال المستخدم لها من أي مكان ومن أي حاسوب ولا تكون المعلومات والمراجع فيها منظمة بل يحتاج الباحث فيها إلى استخدام استراتيجيات وطرق معينة لاسترجاع المراجع والمصادر التي يبحث عنها، ومن هنا نلاحظ أنها بيئة الانترنت فلا يحتاج الباحث سوى شبكة وحاسوب للاتصال بواسطتها، إذن يمكن أن نطلق على شبكة الانترنت مسمى البيئة الرقمية، المكونات الأساسية للبيئة الرقمية:يرى "تيليي" أن المكونات الأساسية التي يجب توفرها في البيئة الرقمية هي:

- المعلومة على الشكل الرقمي.
- التكنولوجيات الحديثة لنقل المعلومات والاتصال.
- الوسائل التقنية المستعملة من قبل المستعمل للوصول إلى المعلومة.

الأدوات البحثية في البيئة الرقمية: هي تلك الأدوات التي تقوم بتنظيم المواقع والصفحات المتاحة في البيئة الرقمية وتيسر استرجاعها من جانب المستفيد، الأدلة البحثية :تجميع لمواقع الانترنت وترتيبها وفقاً لقطاعات موضوعية، وحركات البحث :هي عبارة عن برامج تقوم بالبحث في الوثائق المتاحة على الانترنت عن كلمات مفتاحيه معينة، ويعتمد محرك البحث على برنامج العنكبوت الذي يقوم بالبحث عن الوثائق في فضاء المعلوماتية وتجميعها، وبرنامج المكشف الذي يقوم بقراءة الوثيقة وإعداد كشاف يعتمد على الكلمات المفتاحيه الموجودة ضمنها، برنامج الزاحف :وينتقل من موقع إلي موقع و هو عبارة عن مجموعة برمجيات تقوم باستكشاف الانترنت وتحديداً الويب أخر، ويتمكن هذا البرنامج من الفحص بشكل دوري لملايين الصفحات مكوناً قاعدة بيانات ضخمة بالمواقع التي قام بزيارته، برنامج المفهرِس :هو البرنامج الذي يقوم بتنظيم صفحات الويب وفهرستها وتوصيفها، برنامج محرك البحث :هو البرنامج المرتبط بالواجهة الجرافيك الخاصة بالبحث حيث تعطي الفرصة للمستفيد لصياغة استفساره إلي جانب استعراض الصفحة المتضمنة للإجابات في شكل قائمة بالنتائج (الرزو، ٢٠٠٧، الصفحات ٤٦-٥٢).

- **ابستملوجيا:**

يساعد تبني الابستملوجيا الباحث على رد الفعل والتفكير وفق الانتماء الابستمولوجي الذي يتبعه، هذه الابستملوجيا الداخلية تتحدد داخل عملية تطبيق العلوم وعلى حسب طبيعة كل علم، وتبرز أهميتها بالنظر لما تحدثه من تأهب واستعداد لدى الباحث أثناء الدراسة، من اجل تطوير أساليبه ورؤيته العامة لمكونات بحثه الواقع، وبالتالي فان الابستملوجيا بالنسبة للباحث هي المحرك الداخلي والذي يعد ضروريا لعملية الاستقصاء، وسواء كان الباحث مدركا ام لا فانه يطرح أسئلة ابستملوجيا طوال رحلة دراسته، لذا لا بد من توفر تغدي البحث وتلهم خطواته المنهجية، أن مجموعة المبادئ الابستملوجيا لها خلفية فلسفية، فهي تتيح لنا فهم العلاقات المتبادلة بين العلوم والفلسفة كعلاقات تأسيسية وفي الجانب الأخر نقدية.

كل ابستملوجيا لها طابع فلسفي، وعليه فان الميكانيزم هو مبدأ ابستملوجيا ضروري لان فكرة وجوده تبقى مرتبطة أساسا بفكرة التفسير، بحسب "بودون" الميكانيزم: عبارة عن آلية عمل وهو في الغالب اجتماعي يقابل قوانين الابستملوجيا الوضعية كمبدأ السببية، لأنه يفسر العلاقات ويقدم أشكالا ترابطية، كما أنه يمثل في معناه العام العالمي الخاص بالعلبة السوداء التي تعمل وفق قواعد الميكانيزمات العامة والتي تبين أن الظاهرة إذا كانت "أ" فهي أحيانا أخرى "ب"، لكن إذا كان الميكانزم ضروري في جميع الأنواع الابستملوجيا فان المرجعية الفلسفية وقطب الابستملوجيا يحمل في طياته مجموعة المناهج المتبعة، وعليه يشكل تصنيف المناهج مشكلا عمقا في البحوث والدراسات الإنسانية لاسيما الإعلامية (التميمي، ٢٠٠٩، صفحة ١٣٢).

- **الإعلام البديل:**

ظهرت وسائل الإعلام الجديد كمصطلح واسع النطاق في الجزء الأخير من القرن العشرين ليشمل دمج وسائل الإعلام التقليدية مثل الأفلام والصور والموسيقى والكلمة المنطوقة والمطبوعة، مع القدرة التفاعلية للكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصالات، وتطبيقات الثورة العلمية التي شهدها مجال الاتصال والإعلام، حيث ساهمت الثورة التكنولوجية في مجال الاتصال في التغلب على الحيز الجغرافي والحدود السياسية، والتي أحدثت إعلام

جديد تغيير بنيوي في نوعية الكم والكيف في وسائل الإعلام. والمقصود بوسائل الإعلام الجديدة ببساطة هي وسائل الإعلام الرقمية وذلك لتفريقها عن التفاعلية والشبكية الرقمية (شفيق، ٢٠١٠، الصفحات ٣٩-٤١).

لقد جاءت وسائل الإعلام الجديد لتحل سيطرة مركزية وسائل الإعلام التقليدية المركزية، وأصبح بإمكان الأفراد والمؤسسات مخاطبة الجميع مباشرة وبتكلفة معقولة،إن قوة وسائل الإعلام الجديد لا تقتصر على مجرد خاصية التفاعل التي تتيحها والتي تسمح لكل من المرسل والمستقبل بتبادل أدوار العملية الاتصالية، ولكن تلك الوسائل أحدثت أيضاً ثورة نوعية في المحتوى الاتصالي متعدد الوسائط والذي يشتمل على النصوص والصور وملفات الصوت ولقطات الفيديو، الثورة المذهلة في عالم التقنية الرقمية وما أفرزته من تطورات في وسائل الإعلام الجديد أدت إلى تحوله من حقل للمعلومات يتيح حرية التعبير عن الرأي إلى وسيلة للتفاعل والتواصل والمشاركة.

- **النظريات الإعلامية:**

في أواخر الستينات ظهرت نظريات مختلفة في الإعلام تمثل نوعا ما من تنظيم العلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمع الذي توجد فيه، واهم الدراسات التي كان لها دور في بحث أسس هذه النظريات التي أجراها الإعلاميون الأمريكيون: "سبيرت"، "شرام"، "تيرسون"، عام ١٩٥٦م، وقد نالت هذه الدراسة اهتماما كبيرا من الباحثين، وتصدرت الساحة في مجال النظريات الإعلامية فترة من الزمن، وتركت آثارها الكبيرة على كل الأعمال النظرية التي تلتها، والأصل في النظريات الإعلامية: نظريتان اثنان عما: نظرية السلطة ونظرية الحرية، ثم تولدت عنهما نظريتان أخريان هما: نظرية المسؤولية الاجتماعية، والنظرية السوفيتية الشمولية.

يقصد بنظريات الإعلام خلاصة نتائج الباحثين والدارسين للاتصال الإنساني بالجماهير بهدف تفسير ظاهرة الاتصال والإعلام ومحاولة التحكم فيها والتنبؤ بتطبيقاتها وأثرها في المجتمع، فهي توصيف النظم الإعلامية للدول.

هناك علاقة بين نظريات الإعلام وفلسفة الإعلام ففلسفة الإعلام هي بحث العلاقة الجدلية بين الإعلام وتطبيقاته في المجتمع، أي تحليل التفاعل بين أسس الإعلام كعلم وبين ممارساته الفعلية في الواقع الاجتماعي، ويرى النظريون أن نظريات الإعلام جزء من فلسفة الإعلام، لأنها أعم واشمل من النظريات، وكثيرا ما شاع

استخدام نظريات الإعلام باعتبارها فلسفة الإعلام أو مذاهب الإعلام (دليو، ٢٠١٣، الصفحات ٧٩-٨٣).

قبل التطرق إلى النظريات الكلاسيكية المؤسسة للفكر الاتصالي، وقبل ارتباط العملية الجديدة بمفهوم الرقمنة، علينا توضيح وظيفة الاتصال، تؤكد مدرسة "بالو التو" أن الإنسان لا يستطيع إلا ان يتصل، ومنه فان الإنسان فاعل في عملية الاتصال ودوره يتراوح مابين متصل ومستقبل ويتم ذلك عن طريق أدوات الاتصال، والني كانت في السابق تتمثل في الخطاب والكتابة، ومرت على هذه العملية عدة تطورات للآليات الاتصال إلى غاية وقتنا الحالي وهو عصر الرقمية في الفضاء الالكتروني، وعندما يتعلق الأمر بدراسة الفعل الاتصالي كما أن مدرسة "بالو التو" تفسر العملية الاتصالية في عدة نقاط منها: الاتصال عملية دائمة ومستمرة، هو عملية منظمة لها أسس تشتغل وفق تسلسل منطقي وليس بصفة عشوائية، كما ان مفهوم النظام في العملية يتسع ليشمل النظم الاجتماعية التي يحدث فيها لاتصال.

هو عملية تفاعلية تحدث تبادلا مستمرا في الأفكار والمعاني بين أطراف الاتصال، والبيئة تؤثر في عملية الاتصال لأنه نتاج البيئة الاجتماعية والثقافية التي يمتلكها الإنسان، كما أن البيئة بوصفها منتج لنظام ثقافي من شانها أن تحدد المستويات المختلفة للاتصال، هذه المستويات تجعل دراسة الاتصال نقطة تتقاطع فيها جميع العلوم، وكل تخصص له توجهه ورؤيته التحليلية لواقع الفعل التواصلي، بحيث تستند آليات التواصل إلى مجموعة من المعايير والقيم مما جعل كل من "بيرغر" و"لوكمان" يصفان العملية الاتصالية بالعلاقة الجدلية بين كل من العالم المادي الخاص بالاكتشافات والتقدم التكنولوجي، والعالم السياسي وتأثيرات ثوراته، وكذا المستوى الاجتماعي الذي يضم مختلف الهياكل الاجتماعية بحيث يمكن ان تقوم تفاعلاتها على استراتيجيه محددة في الطريقة التي يتم من خلالها بناء الرسائل (الحسن، ٢٠٠٦، صفحة ٩٩).

بعدما تطورت الوسائط الاتصالية نتيجة التطور التكنولوجي، بدأ ما يعرف بالإعلام الجماهيركنتاج لتنامي عملية الاتصال وتعدد الأنشطة الاتصالية: ظهر الإعلام الجماهيري مع بدايات وسائل الإعلام الجماهيرية، وهي الوسيلة المادية التي أصبحت تنقل الرسائل الإعلامية: الصحف، وكالات الأنباء، سينما، إذاعة، تلفزيون،

وترتكز آلية تحديد وظائف الإعلام الجماهيري على العنصر الفكري الخاص بالعملية الاتصالية، ذلك أن "فريال مهنا" توضح أن بنية الإعلام الجماهيري تتكون من ثلاثة عناصر، وهي: العنصر الفكري، الرموز الأبجدية والفنية والعقائدية، الحاملة للدلالة وكذا المرسل بخلفياته الثقافية والاجتماعية والتربوية والعقلية والنفسية، ومن عنصر تقني وسائل الإعلام، صحافة إذاعة، سينما، تلفزيون، ومن عنصر اقتصادي: المؤسسة الإعلامية للاقتصادية.

**٣.المناقشة:**

**١.٣.نظريات التأسيس الأولى للفكر الاتصالي :**

- **مرجعية السلطة:**

تسمى أيضا المرجعية الاستبدادية، وهي تعني امتلاك وسائل الاتصال وتوجيهها من أجل إعادة إنتاج القيم في المجتمع بحيث ترى الأنظمة أن وسائل الاتصال عبارة عن ميكانيزمات تنظيمية ضبطية، تعمل وفق مركزيتها ولا بد أن توافق إيديولوجياتها ومعتقداتها وتعيد تقديمها للملتقى بما يوافق أهدافها.

يقدم "مانويل كاستل" تعريفا جامعا في كتابة سلطة الاتصال " السلطة هي القدرة ذات الصلة التي تمكن فاعلا اجتماعيا من أن يؤثر بشكل غير متناسب على قرارات الفاعلين الاجتماعيين الآخرين بسبل تحابي إرادة الفاعل المتمتع بالسلطة ومصالحه وقيمه (سليمان، ٢٠١٣، صفحة ٥٦).

- **المرجعية الليبرالية:**

يرتكز نظام الإعلام الغربي بصفة أساسية على الفلسفة الليبرالية والتي تشكل أيديولوجية النظامين السياسي والاجتماعي القائمين في الدول الغربية، ويرى أصحاب هذه المدرسة أن للإعلام وظيفتين هما : الإعلام والترفيه ثم ظهرت وظيفة ثالثة وهي الإعلان، ربط أجزاء المجتمع، نقل التراث الاجتماعي من جيل إلى جيل.

إلا أن هذا جعل الخبر يعتمد على الإثارة وإضعاف الموضوعية، والتظليل الإعلامي بسبب سيطرة مجموعة صغيرة من صناع القرار السياسي وأصحاب الشركات العملاقة، بالإضافة إلى الإعلان الذي روض الإعلام وجعل محتواه تحت توجيه المعلنين وحوله إلى صناعة تغطي الكثير من البلدان والأسواق (الفتاح، ٢٠١٤، صفحة ١٧٩).

- **مرجعية المسؤولية الاجتماعية:**

ظهرت نظرية المسؤولية الاجتماعية كرد فعل للنظرية الليبرالية أو نظرية الحرية، بحيث وضعت قواعدها في الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، وتقوم على مبدأ ممارسة الإعلامية بحرية كاملة ولكن مع وضع المسؤولية الاجتماعية في الحسبان، وهنا ظهرت قواعد قوانين تجعل الرأي العام رقيبا على آداب المهنة، وذلك بعد إساءة استخدام وسائل الإعلام والاتصال في الإثارة والخوض في أخبار الجنس والجريمة، ما أدى إلى سوء استخدام مفهوم الحرية في الإعلام (ماتلار، ٢٠٠٥، صفحة ٥٦).

- **مرجعية المشاركة الديمقراطية:**

من الناحية النظرية تعد رؤية ايجابية في خلق إشكال جديدة ومسايرة للبيئة المتغيرة التي تعمل فيها وسائل الاتصال، خصوصا وأنها تنتقد العملية الاتصالية في مجمل المرجعيات السابقة التي تهتم بالاتصال الرأسي من أعلى إلى أسفل، مؤكدة بذلك على سلبية المتلقي، لاسيما المرجعية الليبرالية التي تخضع لاعتبارات السوق، مما أفرغ الاتصال من محتواه، كما ترى أيضا أن نظرية المسؤولية الاجتماعية غير ملائمة بسبب ارتباطها ببيروقراطية الدولة، وترى أن التنظيم الذاتي لوسائل الإعلام لم يمنع نمو مؤسسات إعلامية تمارس سيطرتها من مراكز قوة في المجتمع، وفشلت وسائل الإعلام في مهمتها وهي تلبية الاحتياجات الناشئة من الحياة اليومية للمواطن، وعليه فإن الفكرة الأساسية في نظرية المشاركة الديمقراطية تكمن في احتياجات ومصالح وآمال جمهور متلق ونشط في مجتمع سياسي، وحق المواطن في استخدام وسائل الاتصال، من أجل التفاعل والمشاركة، بحيث يعتقد مؤيدو هذه النظرية أن الحياة الاجتماعية سوف تكون أفضل من خلال تقديم فرص للمشاركة على أسس يحددها المستخدمين وليس المسيطرون والقائمون على الاتصال (رضوان، ٢٠١٢، صفحة ٣٢).

**٢.٣.توسع الإشكاليات(ظهور وسائل الميديا الجديدة) :**

تقترن المدونة النظرية لعلوم الإعلام والاتصال اقترانا وثيقا بظهور وسائل الميديا الجماهيرية، وعليه فإن قواعدها وأساسياتها النظرية لم تبرز إل بعد ثلاثينيات القرن الماضي، لذا يعود الفضل لعدد من النظريات في تأسيس هذا العلم الجديد واستقلالية مناهجه البحثية، أهمها (مهنا، ٢٠٠٢، صفحة ٢١٠):

- السيبرنطيقة ونظرية المعلومات

- المقاربة الإمبريقية، الوظيفية
- المنهج البنيوي وتطبيقاته اللسانية

وهناك نظريات أكثر قد تكون أهم مما ذكر ولكنها جاءت في مرحلة معينة كانت فيها البحوث الخاصة بعلوم الإعلام والاتصال قد أرسلت قواعدها، إلا أننا لا ننكر إسهاماتها البالغة والتي نحددها فيما يلي:

- ⇨ علم اجتماع الثقافة الجماهيرية
- ⇨ الفكر النقدي
- ⇨ الفكر الماكلوهاني

- **السيبرنطيقة ونظرية المعلومات:**

عرفت سنوات الأربعينيات من القرن الماضي بروز حقل جديد للمعرفة، مخصص في جزء كبير منه للاتصال تماشيا والاكتشافات التقنية الخاصة بمعالجة الإعلام. ويعرف" نوربير وينر " السيبرنطيقة بأنها دراسة الأوامر والاتصال لدى الإنسان والآلة، وانطلاقا من ذلك عكف العلماء الرياضيون على إيجاد طريقة تمكن الآلة من حل عمليات حسابية ومعالجة المعلومات، مما أوجد" نظرية المعلومات"، التي ترتكز على حساب كمية المعلومات من خلال فصلها عن معناها، بحيث أنها لم تهتم بمعنى المعلومات وإنما بنقلها واستقبالها تاركة إدراك المعنى للإنسان، وعليه فإن نظرية المعلومات هي أقرب إلى العلوم الدقيقة والهندسية منها إلى علوم الإعلام والاتصال (لبنى، ٢٠١١، الصفحات ٢٣-٢٨).

- **نظريات المقاربة الإمبريقية، الوظيفية:**

تظم هذه المقاربة عددا كبيرا من النظريات، تشترك إجمالا في النقاط التالية:

- استعمالها للبحوث الأمبريقية
- بداية تأسيسها بعد الحرب العالمية الثانية
- التركيز على تحليل الآثار
- العمل ضمن مواقع أكاديمية متعدد التخصصات
- مبدأ حرية الإعلام والليبرالية الاقتصادية

لعبت النظرية الوظيفية وبحوثها الإمبريقية مكانة هامة في الفكر الاتصالي الأمريكي، بحيث طرحت كمرحلة أولى قبل ظهور نظرية الاستخدامات والإشاعات

إشكاليات تأثيرات هذه الوسائل الإعلامية الجماهيرية على الجمهور، وبالخصوص تأثير الدعاية الانتخابية في الانتخابات الأمريكية (واضح، ٢٠١٢، صفحة ١٩٣).

تضم المقاربة الوظيفية في جعبتها كامل نظريات التأثير، التي شهدت نجاحا كبيرا، سنوات (١٩٥٠-١٩٦٠)، وذلك لأنها رد فعل ضد النزعة السلوكية المنبثقة من تجارب "بافلوف" والتي ترمي إلى تحديد ردود فعل المستهلكين على النبهات التي توجه إليه كبريات الوسائط.

**⇨ المنهج البنيوي والتطبيقات اللسانية:**

دراسة نسق القرابة والنسق الاقتصادي والنسق اللساني يشكل المعنى المركزي للتواصل داخل المجتمعات، وعيه فإن التحليل البنيوي للعمل السردي الذي قسم فيه العمل السردي إلى ثلاثة مستويات للوصف : مستوى "الوظائف"، مستوى "الأفعال"، مستوى " السرد"، قدم هذا لعلوم الإعلام والاتصال إمكانية تحليل النصوص الاتصالية، خطاب الصحافة، رسائل اللوحات الإشهارية، فغيرت من أدوات التحليل التقليدي للمضمون الموضوعاتي.

إن تطور المنهج البنيوي على يد "أمبرتو إيكو" الذي أشار إلى أن ظواهر التواصل ليست كلها قابلة للتفسير بواسطة مقولات اللسانيات ومن ثمة ظهرت محاولات التأويل السيمولوجي لأنواع التواصل البصري وخصوصياتها من ترميز تناظري، التجاوز والتزامن ... الخ (حمداوي، ٢٠١٦، صفحة ٧٩).

**⇨ علم اجتماع الثقافة الجماهيرية:**

أخذت "الدراسات الثقافية" مكانتها الأكاديمية في الوسط الفكري من خلال إنشاء المركز المعاصر للدراسات الثقافية سنة ١٩٦٣ والذي جمع كل من "ستيوارت ميل"، " رتشارد هوغارت"، "إدوارد تومسون" بحيث اهتموا وبشكل خاص بالثقافة العمالية والتي تعتبر وبشكل ما وريثة هذه الثقافة الجماهيرية سيما مع بداية ما يعرف باليسار الجديد والحركات المناهضة للرأسمالية المتوحشة.

من خلال هذا فإن دراسة هذا الشكل من الثقافة أنتج لنا مادة أكاديمية عميقة في رؤيتها تتسم بالرؤية النقدية في الغالب والتي أصبحت تعرف مع بداية السبعينيات من القرن الماضي، نظرا لتوسعها وارتباطها بوسائل الميديا (يول، ٢٠١٠، الصفحات ٥٤-٥٦).

**⇨ الفكر النقدي:**

تمكن الفكر النقدي بمساهة "كال بوبر" من التأسيس لرؤية جديدة ومغايرة تماما للوضعية الأمبريقية، وعندما نقول الفكر النقدي في مجال علوم الإعلام والاتصال فإننا نعرج بالتأكيد إلى الجيل الأول من مدرسة "فرانكفورت" بقيادة كل من "ولتر"، "أدرنو"، "تيودور"، "هوركهايمر" والتابعين لمدرسة فرانكفورت، كذلك المفكرين الألمان والذين عانوا في العمق من الاستعمال الفاسد للميديا من طرف النازيين وبالخصوص من استعمال الراديو والسينما، أثناء الحرب من أجل أدلجة الجماهير، لكن لا يزال الوقت لتبلور فكر نقدي حقيقي في مجال علوم الإعلام والاتصال، وعلينا أن ننظر المرحلة الثانية من الفكر الاتصالي، وهي مرحلة توسع الإشكاليات حتى نفهم الكثير من الأفكار النقدية (عرفات، ١٩٩٥، صفحة ٤٤).

**⇨ الفكر الماكلوهاني:**

تمكن الفكر الماكلوهاني من احتلال مكانة مرموقة على الصعيد الفكري العالمي، وذلك بسبب أفكاره الجديدة حينها والتي ترتكز على:

- الحدث الأساسي فبعملية الاتصال لا يتمثل في الخطاب وإنما في الوسائط في حد ذاتها.
- تنقسم الوسائط إلى وسائط ساخنة و أخرى باردة
- الوسيلة امتداد لحواس الإنسان، هي امتدادات أو توسيع لقدرات بشرية.
- الحتمية التكنولوجية، فبينما "ماكس" يرى بالحتمية الاقتصادية، "ماكلوهان" يرى بالحتمية التكنولوجية.
- من الناحية السياسية يرى ماكلوهان أن وسائل الإعلام الجديدة جعلت العالم"قرية صغيرة".

كل هذا يحدد نطاق العمل الثقافي لوسائل الإعلام، الذي سوف يعمل وفق الاستجابات العاطفية للرسائل، كما يذكر "بيرنار ميج" أن قسطا مهما من هذه الأفكار، هي في الأساس لهارولد إنيس في كتابة " تحيز الاتصال" بحيث لم تشكل تأسيسا فعليا لفكر الاتصالي على الرغم من بعض السياقات التي قدمت تفسيرات للعملية الاتصالية ولكنها لا تحيط بها كلية (عزي، ٢٠١٣).

**⇨ الفكر الاتصالي( التيارات، التحولات، اشتقاقات لنظريات تأسيسية):**

شهد الفكر الاتصالي، بداية من سبعينيات القرن الماضي تحولات عميقة، واكبت نظرياته مختلف التغيرات الاجتماعية ولعل أهمها التغيرات الثقافية التي اتسمت في حركات الاحتجاج والنقد لسنة ١٩٦٨، وكذا الأوضاع السوسيو اقتصادية العميقة التي تسببت في إعادة هيكلة الاقتصاد العالمي، نتيجة ضعف المردودية، هذا من دون إهمال تطور تقنيات وتكنولوجيات الاتصال الذي كان لها بالغ الأثر في تحديد وتجديد الفكر الاتصالي، أيضا اللجوء المتصاعد من طرف المنظمات، الشركات إلى استراتيجيات اتصال وإلى معرفة الجمهور (الدليمي، ٢٠١٧، صفحة ٣٨).

ومع ذلك يصعب تصنيف التيارات لأنها في بعض الحالات تطورات أو اشتقاقات لنظريات تأسيسية، ولكن يمكننا حصر إسهامات هذه الفترة بـ:

- الاقتصاد السياسي للاتصال
- التداوليات
- إثنوغرافيا التواصل
- سوسيولوجيات التقنية والوساطة
- تلقي الرسائل وتكوين استعمالات الوسائط
- النظرية ا"لهابر ماسية" وفلسفات الاتصال

**٤.النظريات التقليدية للإعلام والاتصال في ظل البيئة الرقمية:**

**١.٤نظريات مسايرة للبيئة الرقمية :**

لا يمكن إهمال الإرث النظري السابق لظهور إعلام البيئة الافتراضية، الذي يتجلى في كل نظريات معينة تبقى صالحة لكافة المتغيرات، وذلك لخصوصية زاويتها وفي هذا المجال نجد نظريتين وهما :نظريات التأثير، والنظرية السيبرنية، يضلان صالحتان لتفسير بعض جوانب العملية الاتصالية في البيئة الرقمية.

- **نظريات التأثير:**

ترتكز نظريات التأثير على تحليل الآثار، كما تعمل ضمن مواقع أكاديمية متعددة التخصصات، وعليه من السهل جدا اعتماد دراسة زاوية تأثير وسائل الإعلام الجديدة "الانترنت" على جموع المستخدمين، بحيث يمكن تطبيقها عند معالجة هذه الآثار لدى الأطفال، وهناك عدد كبير من الدراسات اعتمدت هذا النهج من أجل معرفة حدود هذا

التأثير وضبط السلوكيات الجديدة وتحليل الآثار النفسية والاجتماعية والاقتصادية، يمكن أيضا لهذه النظرية تحديد أبعاد مختلفة وربطها بالمعطى التكنولوجي الجديد، وعليه يمكننا تحليل زاوية واحدة، وهي زاوية تأثير هذه الوسيلة (ستروس، ١٩٧٧، صفحة ١٠٣).

- **النظرية السيبرنية:**

تهتم بدراسة الأوامر لدى الإنسان والآلة فهي تهتم بعملية نقل واستقبال المعلومات، وعليه فإن السيبرنطيقة هي "علم مراقبة العملية الاتصالية " ويمكن نقل هذه النظرية إلى حامل تكنولوجي جديد، هذا الأخير هو الناقل للمعلومات يجعل نوعا من التشاركية، من هذا المنطلق سوف تبرز رؤية جديدة وهي علاقة الإنسان بالأدلة، هذه الآلة سوف تتطور وتقفز من صفة التشاركية إلى صفة التفكير بسبب الذكاء الاصطناعي، لذا فإن هذا يفسر استمرارية هذه النظرية من الناحية التقنية، ويمكن من خلالها دراسة الجوانب التقنية ومختلف التبادلات داخل هذه البيئة الافتراضية (حمداوي، ٢٠١٦، صفحة ٥٧).

**٢.٤ .نظريات مكيفة مع البيئة الرقمية :**

- **نظرية سوسيولوجيا الاستخدامات:**

فتحت الانترنت واستخداماتها الجديدة أفقا رحبا للعمل ضمن نظريات سوسيولوجيا الاستخدامات، فبعد أن طرحت هذه المقاربة سنوات الستينيات القرن الماضي ضمن الرؤيا الإنقلوساكسونية التي أخذت تهتم شيئا فشيئا بمختلف التأثيرات التي يمكن أن يحدثها المستخدم للميديا نفسها، مما سمح لها مع زخم الانترنت من تقديم تصورات جديدة على غرار أعمال كل "دومنيك كاردون" و "فابيون قرانجون" اللذان أكدا أن الانترنت وبالتحديد الاستخدامات الجديدة للانترنت أفرزت منطقا اجتماعيا مختلفا وهجينا من الواجب الخوض فيه وتفسير تدخلاته، من خلال تحديد مختلف السياقات التي تستخدم فيها الأداة التكنولوجية، وكذا الممارسات الخاصة بالمستخدمين وأنماطها التي تأصلت داخل الحياة اليومية (رضوان، ٢٠١٢، صفحة ٩٦).

- **التشاركية في البيئة الرقمية :**

برزت التشاركية كتيار فكري جديد منبثق بالأساس من أعمال "هابر ماس" وأفكاره حول تشكيل الفضاء العمومي، ذلك أن الانترنت أوجد فضاء كبيرا ومهما تمكن

من جمع أفكار عدد من المفكرين المهتمين بالحقل الرقمي والذين نقلوا إليه رؤيتهم المتحررة في دمقرطة وتشاركيه هذه الوسائط الجديدة.

الكشف عن الذات: وهي الأشكال الإعلامية التي ترتكز في تصميمها على المستخدم ويكون من الضروري عليه الكشف عن ذاته، ميولاته، اهتماماته، يومياته....الخ.

درجة ثراء الحضور: يقصد بها مدى أهمية المضامين التي يقدمها "المستخدم" هل هي فائدة معينة أم أنها عبارة عن مضامين مبتذلة، وصفية ليوميات متشابهة في الغالب.

ومن هنا تعالج التشاركية مرحلة ثانية من أنماط الاستعمال وحضور المستخدم إلى إشكالية إعادة تركيب الهويات الجديدة، حيث هناك مستخدمين فاعلين تمكنوا من وضع هوية رقمية ليست مطابقة بالضرورة للهوية المدنية (دليو، ٢٠١٣، الصفحات ٩٨-١٠٢).

**٥. خاتمة**

قدمنا صورة بانورامية لجميع النظريات الكلاسيكية التي حاولت تفسير العملية الاتصالية، وذلك من أجل بناء صورة واضحة لما نحتاجه اليوم من نظريات تستطيع تفسير البيئة الافتراضية، كما أننا فككنا العملية الاتصالية التقليدية ووقفنا عند أهم النقاط الجديدة التي أفرزتها ظاهرة الإعلام البديل من أجل الوقوف في النهاية على البراديغم الإعلامي الجديد.

تتباين المقاربات النظرية الخاصة بالإعلام البديل، وتتمحور أساسا حول السلوكيات الاتصالية الجديدة التي أفرزتها البيئة الافتراضية، ذلك أن التنظير الإعلامي للبيئة الرقمية يعد أمرا صعبا وغير متفق عليه من قبل جموع المفكرين في الحقل الاتصالي والاجتماعي، وذلك لعدد من الاعتبارات أهمها: خصوصية البيئة الرقمية وسرعة تطورها، تداخل التخصصات مما يحث علينا القيام بدراسة أنواع التخصصات وليس عن تعددها، تسارع تكنولوجيا الوسائط وتعددها، تبذل سلوكيات المستخدمين وفقا للتطبيقات والمنصات المتجددة.

و عليه يمكن تقسيم النظريات التقليدية التي لا تزال تفسر البيئة الرقمية:نظريات اتصال تقليدية لا تزال صالحة لتفسير موضوعات البيئة الرقمية يعني نظريات مسايرة واكبت الإعلام التفاعلي الجديد، نظريات اتصال تقليدية أعيد صياغتها

وفقا لخصوصية البيئة الرقمية، نظريات محينة، نظريات اتصال جديدة استحدثت من أجل تفسير موضوعات البيئة الرقمية، نظريات مستحدثة.

## ٦. قائمة المصادر والمراجع:


١. أحمد واضح. (٢٠١٢). **الخطاب التداولي في الموروث البلاغي**. قسنطينة: دار هومه.

٢. ارمان وميشال ماتلار. (٢٠٠٥). **تاريخ نظريات الاتصال**، ترجمة: نصر الدين العياضي. بيروت: منشورات المنظمة العربية للترجمة.

٣. اسد الدين التميمي. (٢٠٠٩). **معجم مصطلحات الانترنت والحاسوب**. الاردن: دار اسامة للنشر والتوزيع.

٤. جميل حمداوي. (٢٠١٦). **نظريات المنهج التداولي عند علماء جامعة اكسفورد**. العراق: دار الفنون والادب.

٥. جورج يول. (٢٠١٠). **التداولية**: ترجمة قصي العتابي. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

٦. حسن مظفر الرزو. (٢٠٠٧). **الفضاء المعلوماتي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٧. حسين شفيق. (٢٠١٠). **الاعلام الجديد**. الكويت: دار الفكر وفن الطباعة للنشر والتوزيع.

٨. سناء محمد سليمان. (٢٠١٣). **سيكولوجية الاتصال الانساني ومهاراته**. القاهرة: دار عالم الكتب.

٩. عبد الرحمن عزي. (٢٠١٣). **دراسة في نظرية الاتصال**. الشارقة: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٠. عبد الرزاق محمد الدليمي. (٢٠١٧). **نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرون**. عمان: دار اليازوري.

١١. عزيز لبنى. (٢٠١١). **البحث في علوم الإعلام والاتصال**. لبنان: دار النهضة العربية.

١٢. علي عبد الفتاح. (٢٠١٤). **الاعلام والمجتمع**. عمان: منشورات اليازوري.

١٣. فريال مهنا. (٢٠٠٢). **علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية**. سوريا: دار الفكر.

١٤. فضيل دليو. (٢٠١٣). **تاريخ وسائل الاعلام والاتصال**. الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع.

١٥. كلود ليفي ستروس. (١٩٧٧). **الانثروبولجية البنيوية**: ترجمة مصطفى صالح. دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد.

١٦. كمال عرفات. (١٩٩٥). **علم المعلومات والاتصال**. الاسكندرية: المكتبة الاكاديمية.

١٧. ماريا لويزا برنيري. (١٩٩٧). **المدينة الفاضلة**، ترجمة: عطيات ابو السعود. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

١٨. محمود عبد الفتاح رضوان. (٢٠١٢). **الاتصال الفظي وغير الفظي**. القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر.

١٩. منال ابو الحسن. (٢٠٠٦). **أساسيات علم الاجتماع الاعلامي**. القاهرة: دار النشر للجامعات.